لم ينظروا الى تلك العروض بارتياح بل كان جوابهم بعـد عدة اجتماعات، وبعد حفاوة بالغة من قبل المسؤولين ان ارجأوا كل قرار بشأنها الى حين عودتهم الى بلادهم والمشاورة مع رفاقهم على ما ورد فيها . وقد قابلوا السلطان الذي اظهر لهم كل موآنسة ومزيدا من العطف قائلا : « ارجو ان لا يكون هنالك اي سبب يقطع الصلة بين الحاكم والرعية » .

وعند وصولهم الى بيروت استقبلوا استقبالا منقطع النظير. وذهبت الوفود بالقوارب الى عرض البحر مزينة ورافعة يافطات الترحيب ، وهي تتضمن عبارات مختلفة مختصرة آمال العرب وامانيهم . ودخل والدي البيت محمولا على الاكتاف ، وعمّت مظاهرة التفاؤل وفود المسلّمين فعكست شيئا مـن البهجة على البيت الحزين الذي كان لا يزال يلفه الحداد والاسى على الابن الشاب الذي لم يمض على وفاتـه سوى اشهر قليلة ، كما سبق وذكرت .

ثم نشرت بنود العروض العثمانية ، وانصب عليها الانتقاد من الجرائد الوطنية ومن الزعماء الذين لم يجدوا فيها ما يحقق غاياتهم ، بل رأوا فيها خطة مبطّنة لتفشيل حركتهم بما يدعونه من خطوات للاصلاح ، وتخديرا لثورة الحماسة التي كانت تندفع دون هوادة . ولا يمكن ان تحدّ منها وعود مزيفة لن تطبق عمليا.

قد يتساءل قارىء : ألم يقم في وجه طالبي الاصلاح هؤلاء معارضون في البلاد العربية ؟ اجل لقد قامت فئة من وجوه العائلات الدمشقية العريقة وعلى رأسها محمد باشا العظم والد خالد العظم واعتقد انه كان من دوافعه لهذا الموقف التنديد بابن عمـه رفيق

Twitter: @abdullah1904